



عدول إسم المفعول عن دلالاته حسب السياق القرآني

The Deviation of the Passive Participle from its Meaning According to the Quranic Context

جباري محمد

جامعة خميس مليانة (الجزائر)، mohamed.djebbari@univ-dbkh.dz

ملخص:

الخطاب القرآني شغل أولى الألباب، فصار منبها لتلك العقول بمختلف اتجاهاتها في النية والعقيدة والسلوك مخبرا لتحاليل عديدة حسب آليات اللغة ومستوياتها المختلفة، والمستوى الصرفي الذي يعتبر أساس اللغة لأنه يهتم بصيغة الكلمة المتمكنة القابلة للتحويل والتغير والزيادة والنقصان في الأسماء والأفعال فذاك الإجراء في مبنى الكلمة يعطيها تسمية ودلالة جديدة وبخاصة عندما توظف فتكتسب دلالة صرفية وسياقية ولا تتوقف عند الدلالة المعجمية، ولذلك نجد علماء اللغة الأقدمين والمحدثين قد تنهوا للإتساع أو المجاز أو الإلتفات ومخالفة مقتضى الظاهر، والحمل على المعنى أو العدول عن صيغة إلى صيغة أخرى لخصوصية إقتضت ذلك فهذا البحث يتناول ظاهرة العدول في المشتقات وأثرها على المعنى حسب السياق القرآني متخذاً إسم المفعول الذي عدل عن المفعولية إلى الفاعلية أو إلى المصدرية.

كلمات مفتاحية: العدول ، إسم المفعول ، الدلالة ، السياق ، لغة القرآن

Summary:

The Quranic discourse occupies the intellects of those with discernment, becoming a reminder for those minds with different orientations in intention, creed, and behavior. It is a repository for multiple analyses according to the mechanisms of language and its various levels. The morphological level, which is considered the foundation of language, is concerned with the stable word form that is capable of transformation,

change, increase, and decrease in nouns and verbs. This process in the structure of the word gives it a new designation and connotation, especially when it is employed, thereby acquiring a morphological and contextual significance that goes beyond the lexical meaning. Therefore, we find that both ancient and modern linguists have been attentive to the expansion, metaphor, deviation, or violation of the apparent requirement, as well as the interpretation based on meaning or the deviation from one form to another, due to a particular exigency that necessitated that. This research addresses the phenomenon of deviation in derivations and its impact on meaning according to the Quranic context, taking the passive participle (اسم المفعول) as an example, which has deviated from passivity to agency or to the infinitive.

Keywords: Deviation, Passive Participle, Semantics, Context, Quranic Language

1. مقدمة: اللغة العربية تتميز عن غيرها من اللغات؛ لأنها لغة القرآن، فأخذت مكانة رفيعة في النفوس والعقول وبخاصة عند العلماء بمختلف مشاربهم، فأعطوها الوقت والجهد من أجل فهم أسرارها والوصول إلى قمة التواصل عن طريق الجمع والدراسة والتفسير والتأويل والاهتمام بعلوم اللغة بغية فهم الخطاب القرآني، والوصول إلى الأوامر والنواهي، والعموم والخاص، والحقيقة والمجاز وغيرها من المصطلحات؛ فهل العدول عن ظاهر الحال للصيغة أو التركيب إلى دلالة أخرى يقتضيها السياق في النص؟ وهل هذا المصطلح أستخدم أصلاً عند العلماء قديماً؟ وهل العدول يعد خرقاً للغة أم يدل على قوتها مرونتها؟

وانطلاقاً من تلك الإشكالات سيتم تسليط الضوء في هذا البحث على العدول وأثره في دلالة بنية الكلمة قياساً واستعمالاً، وعلى بنية اسم المفعول ودلالته حسب السياق في بعض الآيات القرآنية؛ اعتماداً على التحليل والبحث عن الدلالة التي انتهت إليها الصيغة حسب السياق القرآني وذلك من خلال تضافر المستويات.

2. العدول بين اللغة والاصطلاح:

1.2 العدول لغة:

عدَل يَعْدِلُ عُدُولاً، وهو الميل أو تغيير الجهة أو الرأي، جاء في لسان العرب أنه: "هو من قولهم: عدَل عنه يَعْدِلُ عُدُولاً إذا مال كأنه يميل من الواحد إلى الآخر؛ وقال المَرَار: فلما أن صَرَفْتُ، وكان أُمْرِي قَوِيماً لا يَمِيلُ به العُدُولُ قال: عَدَل عَنِّي يَعْدِلُ عُدُولاً لا يميل به عن طريقه المَيْلُ؛ وقال الآخر: إذا هَمُّ أُمْسَى وهو داءٌ فَأَمْضِيهِ، وَلَسْتُ بِمُضِيهِ، وَأَنْتَ تُعَادِلُهُ"¹؛ وجاء في

معظم المعاجم بهذا المعنى ومنه يمكن أن نقول أن العدول هو: الميل أو الانحراف والانصراف، والنقل، والانتقال، والتحول، والتحويل.

2.2 العدول اصطلاحاً:

العدول عند القدماء.

لقد أستخدم هذا المصطلح بمسميات عديدة عند القدماء، ومنه سأقف عند بعض الاستعمالات من طرفهم ومنهم: سيبويه (ت: 185هـ) الذي استعمل مصطلح "العدول" بمعنى "الاتساع"، وجاء عنده بمفهوم "التوسّع" على أربع صيغ صرفية هي: الاتساع، والسعة، وأوسع، واتسع² وقد ذكر في "باب استعمال الفعل في اللفظ لا في المعنى لاتساعهم في الكلام، والإيجاز والاختصار فمن ذلك أن تقول على قول السائل: كم صيد عليه؟ وكـم غير ظرف لما ذكرت لك من الاتساع والإيجاز، فتقول: صيد عليه يومان، ومثله في الاتساع قوله عز وجل: ﴿وَمَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا كَمَثَلِ الَّذِي يَنْعِقُ بِمَا لَا يَسْمَعُ إِلَّا دُعَاءً وَنِدَاءً﴾ [البقرة، 171]، وإنما شبهوا بالمنعوق به. وإنما المعنى: مثلكم ومثل الذين كفروا كمثـل الناعق والمنعوق به الذي لا يسمع"³. ومنه نجد أن كلمة الاتساع عنده بمعنى الإيجاز والعدول. ويبيّن ابن جني أن: "معنى العدول أن تلفظ ببناء وأنت تريد بناء آخر نحو: عُمر وأنت تريد عامراً، وزُفر، وأنت تريد زافر"⁴ وقد استعمل عبد القاهر الجرجاني (ت: 471 هـ) لفظ المجاز، وربط بينه وبين مصطلح العدول، حيث يقول: "المجاز مَفْعَلٌ من جاز الشيء يَجُوزُه، إذا تعدّاه، وإذا عدل باللفظ عما يوجبه أصل اللغة، وُصف بأنه مجاز، على معنى أنهم جازوا به موضعه الأصلي، أو جاز هو مكانه الذي وُضع فيه أولاً"⁵، في هذا التعريف فهو يذكر أصل كلمة المجاز الدالة على المصدر المبيي من الفعل جاز ومنه يمكن أن نبين المراحل التي مرت عليها حتى وصلت إلى صورتها النهائية، فصيغة المجاز مشتقة من الفعل (جاز) التي أصلها (جَوَزَ) فهو معتل العين (أجوف) وفي مضارعه (يجوز) وإذا أخذنا منه المصدر المبيي على وزن (مَفْعَل) نقول (مَجَوَزُ) الوزن (مَفْعَلٌ) تحركت الواو بالفتح وما قبلها ساكن فصارت ثقيلة في العملية الصوتية ومنه يكون الإعلال بنقل حركة الواو إلى الساكن فتصير (مَجَوَز) فصارت الواو ساكنة وما قبلها فتح والفتح توافقه الألف فتصير (مجاز). ومن هذا المنطلق نجد أن كلمة المجاز عنده أستخدمت بمعنى العدول.

أما السكاكي (ت: 626هـ) فهو يقول: "واعلم أن الطلب كثيراً ما يخرج لا على مقتضى الظاهر وكذلك الخبر فيذكر أحدهما في موضع الآخر ولا يصار على ذلك إلا لتوحي نكت قلما يتفطن لها من لا يرجع على دربة في نوعنا هذا ولا يعرض فيه بضرس قاطع والكلام بذلك متى

صادف متممات البلاغة افتر لك عن السّحر الحلال بما شئت ومن المتممات ما قد سبق لي أن نظم الكلام إذا استحسن من بليغ لا يمتنع أن لا يستحسن مثله من غير البليغ وإن اتحد المقام إذ لا شبهة في صحة اختلاف النظم مقبولا وغير مقبول عند اختلاف المقام فلا بد لحسن الكلام من انطباق له على ما لأجله يساق ومن صاحب له عراف بجهات الحسن لا يتخطاها وإلا لم يمتنع حمل الكلام منه على غيرها ويتعري عن الحسن لذهاب كسوته⁶. يذكر أن نظم الكلام يحدد من أجل السياق، ويركز على عدول الطلب عن ظاهر الحال إلى دلالة يقتضيها المقام ويشترط في ذلك التوخي والفتنة والدربة، وهذا نوع من العدول.

ويذكر ابن الأثير (ت: 637هـ): "واعلم أيها المتوَشِّح لمعرفة علم البيان، أنّ العدول عن صيغة من الألفاظ إلى صيغة أخرى لا يكون إلّا لنوع خصوصيّة إقتضت ذلك، وهو لا يتوخّاه في كلامه إلّا العارف برموز الفصاحة والبلاغة، الذي إطلع على أسرارها، وفتش عن دقاتها، ولا تجد ذلك في كلّ كلام، فإنّه من أشكال ضروب علم البيان، وأدقّها فهما، وأغمضها طريقا"⁷. فمن خلال قوله يمكن أن أقول أنّ هذه الخصوصية ينبغي لصاحبها أن يكون عارفا لمستويات هذه اللّغة ونظامها وبيانها وأثر السياق التركيبي في تحديد الصّيغة واستعمالها من أجل إدراك أهميّة عدول الصّيغة من دلالتها المعروفة حسب وزنها إلى دلالة أخرى يقتضيها السياق.

ونجد القزويني (ت: 682هـ) يذكر الالتفات على أنّه عدول فذكر قوله تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ جَاءُوكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللَّهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللَّهَ تَوَّاباً رَّحِيماً﴾ [النساء، 64]؛ وعلّق قائلا: "لم يقل الحق . سبحانه : واستغفرت لهم، وعدل عنه إلى طريق الالتفات، فقال: "واستغفر لهم الرسول" تفخيماً لشأن رسول الله (ﷺ)، وتعظيماً لاستغفاره، وتنبيهاً على أنّ شفاعته من إسمه الرسول من الله بمكان"⁸. فهو يبيّن أنّ الله عزّ وجلّ لم يكتف بضمير المخاطب (استغفرت) وإنّما ذكر الرسول صلى الله عليه وسلّم تحديداً لأنّه يمثل الرّسالة وصاحبها يكون معظّماً وذلك من باب تفخيم مكانة الرسول (ﷺ).

3. العدول عند المحدثين العرب:

أمّا عند المحدثين العرب يقول يوسف نور عوض بأنّه: "نوع من الخروج على الإستعمال العادي للّغة بحيث ينأى الشّاعر أو الكاتب عمّا تقتضيه المعايير المقرّرة في النّظام اللّغوي"⁹ فهو يعتبره خروجاً عن المعايير اللّغوية، والاستعمال المتداول.

ويقول عبد الحميد هنداي "أمّا العدول الجدير بإفراده بمصطلح خاص يميزه عن الاختيار، وإن كان يشترك مع الاختيار في كونه إنتقاء للفظ وإيثارا له على غيره عن النّظام أو

الأصل اللّغوي للفظ وإثارة له هذا العدول هو ما كان يمثل في رأيي نوعاً من العدول عن النظام أو الأصل اللّغوي، أو نوعاً من العدول عن سياق النص، وهو ما عرف في التراث اللّغوي والبلاغي بالمجاز، والانتقال والتّحريف والانحراف والرّجوع والالتفات والعدول والصّرف والانصراف والتلوّن ومخالفة مقتضى الظاهر وشجاعة العربيّة والحمل على المعنى والترك ونقض العادة وغير ذلك، ويشير صاحب هذا الرأي إلى أن المقصود بالمجاز معناه اللّغوي العام كما ورد عند أبي عبيدة في كتابه (مجاز القرآن)، وليس المعنى البلاغي الخاص والمتأخر¹⁰. ويذكر عبد المطلب أنّه يكون في التقديم والتأخير فيقول: "إنّ مباحث التقديم والتأخير تمثّل في علم المعاني أهميّة خاصّة من خلال التركيب الذي يخضع بالضرورة لطابع اللّغة ونمطها المألوف في ترتيب أجزاء الجملة، من حيث كان العدول عن هذا النمط بمثابة منبهات فنيّة يعمد إليها المبدع ليخلق صورة فنيّة متميّزة"¹¹ يعتبر ذلك التقديم والتأخير منها فنيّاً متعمّداً من أجل إبداع صورة متميّزة وتحديد المعنى المراد.

ومن خلال أقوال السّابقين واللاحقين يمكن القول أنّ لغة القرآن تتميّز في تركيبها وخصائصها عن غيرها من اللّغات، فالتركيب في اللّغة العربيّة يخضع إلى الدّلالة المراد التّوصل إليها ولذلك نجد موقع الكلمة في السّياق يعتبر قرينة للمعنى ومنه كان العدول عن التقديم أو التأخير أو عدول صيغة صرفيّة عن دلالتها إلى دلالة أخرى مرتبطة بالسياق، وأنّ عدول المشتقات إلى دلالات أخرى موجود في لغة العرب، ومنه يمكن القول أنّه أسلوب من أساليبهم يقتضيه السّياق دلالة على رفعة هذه اللّغة وإعجازها وبخاصّة لغة القرآن التي جاءت من أجل إعجازهم. وهذا الأمر جعل الكثير من العلماء يقفون عند الوقفات الإعجازية التي تدلّ على سلاسة اللّغة ومتانتها وبيانها وبلاغتها، بل هي تتحدّى العقل البشري من أجل أن يستكشف تلك الوقفات بأنواعها المختلفة ليتم التّواصل ويكون التّأثير، ويمكن القول أنّها كتاب مفتوح لقراءات عديدة حسب مستويات مختلفة، فلا يمكن أن يتوقف عند حدّ معين؛ ومن أمثلة ذلك صيغة إسم المفعول كما سيرد في البحث.

4. إسم المفعول وعدوله:

1.4 إسم المفعول:

هو إسم مشتقّ من الفعل الثّلاثي وغير الثّلاثي يدلّ على ذات وقع الفعل عليها، جاء في قول ابن هشام الأنصاري (ت: 218هـ) أنّه: "إسم مشتق يدلّ على ذات عليها وقع الفعل"¹². فهو يبيّن أنّه مأخوذ من غيره يدلّ على من وقع عليه الفعل، لكنّه لم يبيّن هل هو دائم؟ ولذلك يذكر حسن عبّاس (ت: 2011م) أنّه: "إسم مشتق يدلّ على معنى مجرد، غير دائم وعلى الذي

وقع عليه هذا المعنى، فلا بد أن يدلّ على أمرين: وهما المعنى المجرد وصاحبه الذي وقع عليه¹³، هو أن إسم المفعول يدلّ على مجرّد معنى وعلى صاحبه، وأنّه غير دائم. ويذكر محمد عيد أنّه "الوصف المشتق من الفعل المبني للمجهول للدلالة على من وقع عليه الفعل"¹⁴ فهو يحدّد أنّه يشتقّ من الفعل المبني للمجهول يعني يكون متعدّياً ويتّفق مع من سبقه في أنّه يقع على صاحبه. وقد جاء في معجم المصطلحات النحوية والصرفيّة أنّه "مصوغ لما وقع عليه الفعل على وجه الحدوث لا الدوام وهو يدلّ على الحدث من ناحية مصاحبة الّذي وقع عليه هذا الحدث"¹⁵

ولمناقشة تلك التعاريف نجد أنّها تتحدّ في تعريف إسم المفعول من حيث التسمية والوصف، وتختلف في درجة تحديد حدّ المصطلح من حيث التسمية والدلالة والوظيفة ولم تعطنا تعريفاً شاملاً واضحاً محدداً، ويمكننا أن نقول أنّه إسم يشتق من الفعل الثلاثي وغير الثلاثي المتعدّي ليدلّ على وصف غير دائم يصاحب الّذي وقع عليه فعل الفاعل، ويصاغ من الثلاثي على وزن مفعول ومن غير الثلاثي على وزن مضارعه المبني للمجهول مع إبدال حرف المضارعة ميماً مضمومة وفتح ما قبل آخره ويعمل عمل فعله المبني للمجهول.

2.4 عدول دلالة إسم المفعول إلى دلالات أخرى وفق السياقات القرآنية:

لدراسة هذا العدول لا بد أن نبيّن أن المباني المشتقة تدلّ على التسمية حسب الصيغة إلّا أنّها يمكن أن تأخذ دلالة أخرى وفق السياق؛ وهنا تظهر أهميّة موقع الصيغة في التركيب والدلالة المحتملة حسب أعراف هذه اللّغة ومنه يكون تضافر جميع المستويات والقرائن للوصول إلى ذلك العدول ومنه يمكن أن أخذ أنموذجاً من القرآن الكريم.

• عدول اسم المفعول إلى إسم الفاعل:

قال تعالى: ﴿وَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ جَعَلْنَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ حِجَابًا مَسْتُورًا﴾ [الإسراء، 45]؛ كلمة (مستورا) على وزن مفعول، فالقارئ لظاهر الصيغة يقول هي تدلّ على إسم المفعول؛ لأنّ هذه الصيغة مشتقة من الفعل (سَـتَر) وهو فعل ثلاثي واسم المفعول منه يكون على وزن مستور، لكن هذا الوزن عندما أستمع في سياق يفرض دلالة معينة حسب التوظيف، فإنّها أخذت دلالة الفاعليّة فصارت بمعنى (ساتر) الذي يحجب الرؤية وهذا الرأي ذهب إليه كثير من أهل التفسير ومنهم: ابن كثير فهو يقول: "أي مانع حائل أن يصل إلينا مما تقول وقوله: حجاباً مستوراً) أي بمعنى ساتر كميون ومشئوم بمعنى يامن وشائم لأنّه من يمينهم وشأمهم"¹⁶ فهو يذهب إلى عدول كلمة (مستور) إلى ساتر ويمثّل ذلك بقول العرب: كميون ومشؤوم صيغتي المفعول بمعنى يامن وشائم صيغتي إسمي المفعول.

وكذلك البغوي (ت: 516هـ) ينحو ذاك النحو قائلا : "وكان بعض نحوي أهل البصرة يقول: معنى قوله : (حِجَابًا مَسْتُورًا) حِجَابًا سَاتِرًا، ولكنّه أخرج وهو فاعل في لفظ المفعول، كما يقال: إنَّك مشؤوم علينا وميمون، وإنَّما هو شائم ويامن، لأنَّه من شأمهم ويمهم. قال: والحجاب ههنا: هو الساتر، وقال: مستورا. وكان غيره من أهل العربيّة يقول: معنى ذلك: حجابا مستورا عن العباد فلا يرونه"¹⁷.

فهو يذكر أنّ أهل النّحو يذكرون أنّ كلمة (مستورا) إسم مصوغ ليدلّ على ساتر بصيغة إسم الفاعل وفق سياق الآية أنّ الحجاب هو السّاتر، ومنه يمكن القول أنّ دلالة صيغة إسم المفعول الذي يقع عليه فعل الفاعل إنزاحت إلى دلالة إسم الفاعل الذي يقوم بالفعل، ومنه تختلف دلالة الفاعليّة عن دلالة المفعوليّة، كأنّ الحجاب أصبح ساترا يحجب قلوبهم عن الرؤية. ومنهم من يذكر أنّ كلمة مستور تبقى على دلالتها المفعوليّة بمعنى أنّ الحجاب مستور لا يمكن أن يروه، وقد ذكر القرطبي (ت: 671هـ): "وقوله: مستورا فيه قولان: أحدهما - أن الحجاب مستور عنكم لا ترونه . والثاني: أن الحجاب ساتر عنكم ما وراءه؛ ويكون مستورا به بمعنى ساتر"¹⁸.

فهو يؤكد أنّ صيغة المفعول (مستور) تكون على دلالة المفعول فهو مستور، وتكون بدلالة الساتر على وزن فاعل فهو يستر ما وراءه.

ويذكر محمد الأمين الشنقيطي (ت: 1393هـ) "وقوله في هذه الآية الكريمة: حجابا مستورا قال بعض العلماء: هو من إطلاق اسم المفعول وإرادة اسم الفاعل؛ أي حجابا ساترا، وقد يقع عكسه كقوله تعالى: (من ماء دافق) أي مدفوق (عيشة راضية) أي مرضية . فإطلاق كل من إسم الفاعل وإسم المفعول وإرادة الآخر أسلوب من أساليب اللّغة العربيّة، والبيانين يسمون مثل ذلك الإطلاق " مجازا عقليا " ومن أمثلة إطلاق المفعول وإرادة الفاعل كالقول في الآية: قولهم: ميمون ومشئوم، بمعنى يامن وشائم. وقال بعض أهل العلم: قوله: مستورا على معناه الظاهر من كونه اسم مفعول؛ لأنّ ذلك الحجاب مستور عن أعين النّاس فلا يرونه أو مستورا به القارئ فلا يراه غيره، واختار هذا أبو حيان في البحر، والعلم عند الله تعالى "¹⁹.

وهذا أنموذج ثان ف (مأتي) من الفعل (أتى) واسم المفعول منه على وزن مَفْعُول (وأصله مَاتُوِي) هذا الوزن اجتمع فيه حرفا علة وهما (الواو والياء) فتقلب الواو ياء وتدغم في الياء، فتكون الصيغة بهذا الشّكل (مأتي) وما قبل الياء مضموم وهو لا يناسب الياء فتنتقل إلى كسر فتصير: مأتي فيصير الإسم منقوصا فتحذف ياؤه إذا كان نكرة (مأت)، لأنّه نكرة غير مضاف، وإذا عرّفناه فلا تحذف ياؤه (المأتي).

وفي الآية الكريمة جاءت منصوبة فلا تحذف ياؤه لأنّه لا يوجد التقاء الساكنين (مأتياً) وتدلّ في صيغتها على اسم المفعول، فهل تبقى دلالتها المفعوليّة أم تنتقل إلى دلالة أخرى حسب السياق؟ قال تعالى: ﴿جَنَّاتٍ عَدْنٍ الَّتِي وَعَدَ الرَّحْمَنُ عِبَادَهُ بِالْغَيْبِ إِنَّهُ كَانَ وَعْدُهُ مَأْتِيًّا﴾ [مريم، 61]؛ قال البغوي: "يعني: مفعول بمعنى فاعل"²⁰، وقال ابن كثير: "ومنهم من قال: (مأتيا) بمعنى: آتيا؛ لأنّ كل ما أتاك فقد أتيتّه، كما تقول العرب: أتت علي خمسون سنة، وأتيت على خمسين سنة، كلاهما بمعنى واحد"²¹. كلمة (مأتيا) تدلّ على اسم الفاعل (آتيا).

ويقول الشوكاني (ت: 1250هـ) "أي: موعوده على العموم. فتدخل فيه الجنّات دخولا أوليا. قال الفراء: لم يقل آتيا؛ لأنّ كل ما أتاك فقد أتيتّه، وكذا قال الزجاج"²² ويذكر أثير الدين الأندلسي (ت: 745هـ) والظاهر أنّ (وعده) مصدر. فقيل: (مأتيا) بمعنى آتيا. وقيل: هو على موضوعه من أنّه اسم المفعول. وقال الرّمخشري (مأتيا) مفعول بمعنى فاعل، والوجه أنّ الوعد هو الجنة وهم يأتونها، أو هو من قولك: أتى إليه إحسانا، أي: كان وعده مفعولا منجزا، والقول الثاني وهو قوله: والوجه مأخوذ من قول ابن جريج قال: (وعده) هنا موعوده وهو الجنّة، و (مأتيا) يأتيه أولياؤه"²³.

يذكر الطاهر بن عاشور (ت: 1973 م): "وجملة (إنّه كان وعده مأتيا) تعليل لجملة (التي وعد الرحمن عباده بالغيب) في يدخلون الجنّة وعدا من الله واقعا. وهذا تحقيق للشارة. والوعد: هنا مصدر مستعمل في معنى المفعول. وهو من باب كسا، فالله وعد المؤمنين الصالحين جنّات عدن، فالجنّات لهم موعودة من ربهم والمأتى: الذي يأتيه غيره، وقد استعير الإتيان لحصول المطلوب المترقب، تشبيها لمن يحصل الشّيء بعد أن سعى لتحصيله بمن مشى إلى مكان حتّى أتاه، وتشبيها للشّيء المحصل بالمكان المقصود. ففي قوله (مأتيا) تمثيلية إقتصر من أجزائها على إحدى الهيئتين، وهي تستلزم الهيئة الأخرى لأنّ المأتى لا بد له من آت"⁽²⁴⁾.

قال تعالى: ﴿قَالَ أَذْهَبَ فَمَنْ تَبِعَكَ مِنْهُمْ فَإِنَّ جَهَنَّمَ جَزَاؤُكُمْ جَزَاءً مَوْفُورًا﴾ [الإسراء: 6]

كلمة (موفورا) اسم مفعول من الفعل (وفر) دلالتها المفعولية حسب صيغتها ولها الدلالة الفاعلية حسب السياق ولذلك فإنّ المفسرين وقفوا عند بنية الكلمة على وزن المفعول الدالة على المفعولية وهو توظيف على حقيقته وكذلك ذكروا عدول الصيغة إلى دلالة اسم الفاعل واعتبروه اتساعا ومجازا للفظه حسب وجودها في التركيب ومنهم القرطبي الذي ذكر قوله تعالى: "قال اذهب" هذا أمر إهانة؛ أي اجهد جهدك فقد أنظرناك "فمن تبعك منهم" أي أطاعك من ذرية آدم. "فإنّ جهنّم جزاؤكم جزاء موفورا" أي وافرا"²⁵ وكذلك عند البغوي فقد ذكر: " (اذهب فمن تبعك منهم فإنّ جهنّم جزاؤكم (أي: جزاؤك وجزاء أتباعك (جزاء موفورا)

وأفرا مكملًا يقال: وفرت أوفره وفرا²⁶. وللوقوف عند دلالة سياق الآية فإن الذهاب يدل على الاستمرارية حسب ما نوى وفعل وكل من تبعه إلى يوم الدين فإن الجزء موفور ووافر ليشمل المعنيين.

وجاء في قوله تعالى: "وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ فَاسْأَلِ بَنِي إِسْرَائِيلَ إِذْ جَاءَهُمْ فَقَالَ لَهُ فِرْعَوْنُ إِنِّي لَأَظُنُّكَ يَا مُوسَى مَسْحُورًا" (الاسراء 101). فكلمة (مسحورا) جاءت على صيغة اسم المفعول الدالة على المفعولية من الفعل سحر إلا أنها يمكن أن تدل على الفاعلية بمعنى أن موسى يمارس السحر وهذا مرتبط بواقع المشهود الذي كان عليه موسى عليه السلام في نظر هؤلاء القوم ومنهم فرعون فهو يتهمة بممارسة السحر المعروف عندهم وهو في الحقيقة تحد من موسى عليه السلام لهؤلاء السحرة جميعهم، وفعله هذا يمثل المعجزة الربانية التي تبطل سحرهم، يذكر الطبري "فقال لموسى فرعون: إِنِّي لَأَظُنُّكَ يَا مُوسَى تَتَعَاظَى عِلْمَ السَّحَرِ، فهذه العجائب التي تفعلها من سحرك، وقد يجوز أن يكون مرادا به إِنِّي لَأَظُنُّكَ يَا مُوسَى ساحرا، فوضع مفعول موضع فاعل"²⁷. فهو يذهب إلى تأويل كلمة (مسحورا) بساحر الدالة على اسم الفاعل (الفاعلية) انطلاقا من اللغة المستعملة حسب السياق ويأخذ المعنى من قياس اللفظة حسب الوزن (اسم المفعول).

• عدول دلالة إسم المفعول إلى دلالة المصدر:

قال الله عز وجل: ﴿وَقَالَ الرَّسُولُ يَا رَبِّ إِنَّ قَوْمِي اتَّخَذُوا هَذَا الْقُرْآنَ مَهْجُورًا﴾ [الفرقان، 30]؛ نقف عند صيغة (مهجورا) التي جاءت على وزن اسم المفعول هل تدل على المفعولية في السياق القرآني أم لها دلالة أخرى حسب السياق؟ "لقد نقل أنهم: ذكروا في المهجور قولين: الأول: أنه من الهجران، أي: تركوا الإيمان به ولم يقبلوه وأعرضوا عن إستماعه. الثاني: أنه من أهجر أي مهجورا فيه، ثم حذف الجار، ويؤكد قوله تعالى: ﴿مُسْتَكْبِرِينَ بِهِ سَامِرًا تَهْجَرُونَ﴾ [المؤمنون، 67]، ثم هجرهم فيه أنهم كانوا يقولون: إنه سحر وشعر وكذب وهجر أي هذيان"²⁸ فهو يذكر مصدر هجر (الهجر) بمعنى أن كلمة (مهجورا) خرجت عن دلالة المفعولية إلى دلالة المصدر بمعنى أنه سحر وشعر وهجر وجاء في شعر الراعي النميري:

حتى إذا لم يتركوا لعظامه لحما ولا لفؤاده معقولا

المعنى: يقول الأشموني: "إنهم لظلمهم وقسوة قلوبهم راحوا يضربونه ضربًا مبرحًا حتى أزالوا لحمه عن عظمه وتركوه فؤادًا بلا عقل"²⁹. فكلمة معقولا الدالة على اسم المفعول انزاحت إلى دلالة المصدر وهو (العقل). قوله تعالى: ﴿بِأَيِّكُمْ الْمُفْتُونُ﴾ [القلم، 6].

وقيل: الباء ليست بزائدة؛ والمعنى: بأيكم المفتون جاء في تفسير القرطبي: "أي الفتنة . وهو مصدر على وزن المفعول، ويكون معناه الفتون؛ كما قالوا: ما لفلان مجلود ولا معقول؛ أي عقل ولا جلادة. وقاله الحسن والضحاك وابن عباس . وقال الراعي:
حتى إذا لم يتركوا لعظامه لحما ولا لفؤاده معقولا"³⁰

فصيغة المفتون من المفعولية إلى دلالة المصدر بمعنى الفتنة، لأنّ المصدر يدلّ على الفتنة الشاملة لهؤلاء، ولو وقفنا عند دلالة اسم المفعول لتوهم وأهم أنّ دلالة الفتنة يُقصد بها واحدا معينا وإنّما الفتنة لجميع هؤلاء الذين أنكروا.

و في قوله تعالى: ﴿ولقد جاءهم من الأنباء ما فيه مزدجر﴾ [القمر، 4]. "كلمة مزدجر اسم مفعول مشتق من الفعل ازدجر الذي على وزن افتعل فأبدلت تاؤه المهموسة دالا لوجودها بجوار الزاي المجهور فتصير الصيغة التائية (مزدجر)، فهل دلالة الصيغة تقف عند حدود دلالة المفعولية أم تتعدى تلك الدلالة إلى المصدرية؟

فقد ذكر البغوي: " (ولقد جاءهم) يعني: أهل مكة (من الأنباء) أخبار الأمم المكذبة في القرآن (ما فيه مزدجر)، مصدر بمعنى الازدجار، أي نهي وعظة، يقال: زجرته وازدجرته إذا نهيته عن السوء، وأصله: مزترج، قلبت التاء دالا"³¹. وفي هذه الحالة يجب إظهار الدال نطقا. ويمكن أن نقول أنّ الصيغ الصرفيّة التي تتميز بالتحويل والتغيير حسب الاعلال والابدال تخرج عن دلالتها حسب التسمية الصرفيّة إلى دلالة سياقية حسب التوظيف والتداول.

وفي قول الله عزوجل: "فَقَالُوا رَبَّنَا بَاعِدْ بَيْنَ أَسْفَارِنَا وَظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ فَجَعَلْنَاهُمْ أَحَادِيثَ وَمَزَّقْنَاهُمْ كُلَّ مُمَرِّقٍ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ " [سبا، 19]، فكلمة ممزّق من الفعل مزّق ومضارعه المبني للمجهول (يُمزّق) واسم المفعول منه (ممزّق) ودلالته كل تمزيق، فتجاوزت من المفعولية إلى المصدرية فتدلّ على منتهى التقطيع والتمزيق. ورجوعا إلى الدلالة النحوية العامة في التركيب تبين أنّ الفعل (مزّق) مؤكد بكلمة (كل) النائية عن المصدر المضافة اسم المفعول (ممزّق) التي دلالتها على المصدر (التمزيق) فيكون التقدير (كلّ تمزيق). وخلاصة القول أنّي وقفت عند بعض الأمثلة من القرآن الكريم للدلالة على عدول الألفاظ حسب السياق وهي مجرد إشارات حسب ما يقتضيه المقام والقراءة مفتوحة لأمثلة أخرى مشابهة لتلك الوقفات .

4. خاتمة:

وختاماً يمكن أن أذكر بعض النقاط التي ينبغي أن تكون حاضرة لدى الباحث في هذا المجال، ومنه يمكن أن أقول:

- 1- على الباحث في اللغة أن يدرك أثر مراعاة القيمة الدلالية والايقاعية والتداولية على عدول الصيغة في السياق.
- 2- التحول والتغير الصّرفي يحدد التسمية الصرفيّة ويعطي دلالة جديدة، وبخاصّة في السياق وما يقتضيه موقع الصيغة، والباحث في اللغة يجد نفسه أمام مشتقات عديدة لها دلالاتها الصرفيّة والسياقية، ونظرا لذلك التموّج يحدث عدولها عن ظاهر الحال إلى دلالة يقتضيها المقام.
- 3- العدول وإن ظهر بارزا في الدّراسات الحديثة، هذا لا يعني أنّه لم يستعمل قديما أو ليس له جذور في التّراث العربي بل وظف وأستعمل وفق مسّميات عديدة منها: بالمجاز، والانتقال والتحريف والانحراف والرجوع والالتفات والعدول والصّرف والانصراف والتّلون ومخالفة مقتضى الظاهر وشجاعة العربيّة والحمل على المعنى والتّرك ونقض العادة...
- 4- ينبغي للباحث في اللغة وبخاصّة في الخطاب القرآني أن يكون له معرفة توظيفية لآليات اللغة ليدرك ذلك التموّج للصيغة وتسميتها الصرفيّة حسب ظاهر الحال والعدول الذي يحتمل حسب السياق.
- 5- الخطاب القرآني يختلف عن غيره، لأنّه يتميّز في تركيبه وسياقه عن باقي الخطابات، فهو المعجز للعقل البشري؛ لأنّه يتميّز في استعماله لثمّوق الألفاظ والتراكيب والمعنى المراد أو المحتمل. فكل كلمة تؤدي وظيفتها ومعناها في موقعها.
- 6- علماء اللغة بيّنوا تضافر المستويات المختلفة ووظفوها من أجل فهم النّص والعملية التّواصلية.
- 7- العدول في دلالة الصيغة أو التركيب حسب السياق يقتضيه المقام وهو يدلّ على بيان وبلاغة الخطاب وهذا ما يميّز به الخطاب القرآني عن غيره.
- 8- دلالة الكلمة لا تتوقف عند تسميتها الصرفيّة بل يكون لها اتساع وعدول حسب السياق.

مراجع البحث وإجالاته:

- 1- ابن منظور، لسان العرب، دار صادر، بيروت- لبنان، (د ط - دت)، ج 10 (مادة عدل).
- 2- ينظر: سيّويه، الكتاب: تج: عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة (ط2-1402هـ/ 1982م)، ص211- 214، ص 235
- 3- المصدر نفسه، ص211

- 4- ابن جني، اللّمع في العربيّة، تح: حامد المؤمن، عالم الكتب، مكتبة النهضة العربيّة، بيروت، (1405هـ- 1985م)، ص 217.
- 5- عبد القاهر الجرجاني، أسرار البلاغة، تح: عبد الحميد هنداي، دار الكتب العلميّة، بيروت، ط1، (1422 هـ - 2001 م)، ص 78.
- 6- يوسف بن أبي بكر السّكاكي، مفتاح العلوم، ضبطه وتعليق: نعيم زرزور، دار الكتب العلميّة، بيروت - لبنان، ط2، (1407 هـ - 1987 م)، ج1/ 23.
- 7- ضياء الدين بن الأثير، المثل السائر في أدب الكاتب، تح: أحمد الحوفي، بدوي طبانة، دار نهضة مصر للطباعة والنّشر والتوزيع، الفجالة- القاهرة، دط - 1420هـ، ج2/ ص145.
- 8- الخطيب القزويني، الإيضاح في علوم البلاغة: المعاني والبيان والبديع، تح: عبد القادر حسين، نشر مكتبة الآداب، (1416، هـ - 1996م)، ص 106.
- 9- يوسف نور عوض، الطيب صالح في منظور النقد البنيوي، مكتبة العلم- جدّة، ص31، وينظر: فتح الله أحمد سليمان الأسلوبية مدخل نظري ودراسة تطبيقية، ص19، المطبعة الفنيّة بالقاهرة 1990م.
- 10- عبد الحميد هنداي، الإعجاز الصّرفي في القرآن الكريم، دراسة نظرية تطبيقية، التّوظيف البلاغي لصيغة الكلمة المكتبة العصرية، صيدا- لبنان، (1429هـ-2008م)، ص 141.
- 11- المرجع نفسه، ص 271 - 272.
- 12- ابن هشام الأنصاري، أوضح المسالك لألفية ابن مالك، تح: محي الدين عبد الحميد، دار إحياء التّراث العربي، بيروت، لبنان، (ط5-1966م)، ج3/ 232.
- 13- حسن عبّاس، النحو الوافي، دار المعارف، القاهرة، مصر، (ط8-1986م)، ج3/ 271.
- 14- محمد عيد، النحو المصطفى، دار النّشر، بيروت، لبنان، (ط6-1975م)، ص 666.
- 15- محمد سمير نجيب اللبدي، معجم المصطلحات النّحوية والصّرفيّة، دار الفرقان، بيروت لبنان، (ط1- 1405هـ-1985م)، ص 178.
- 16- ابن كثير - إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدّمشقي، تفسير ابن كثير، تح: سامي بن محمد السلامة، دار طيبة، دط، (1422هـ/ 2002م)، ج5/ 247.
- 17- البغوي، تفسير البغوي (معالم التنزيل)، دار طيبة، المملكة العربيّة السّعودية، (د ط - 1411هـ)، ج5/ 97.
- القرطبي، الجامع لأحكام القرآن لأبي عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدّين القرطبي، تح: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، دار الكتب المصريّة - القاهرة، ط2، (1384هـ- 1964 م)، ج10/ 276.
- 19- محمد الأمين الشنقيطي، أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، دار الفكر، لبنان، دط، (1415هـ/1995م)، ج3/ 60.

- 20 - البغوي، تفسير البغوي، ج 5/243.
 - 21 - ابن كثير، تفسير ابن كثير، ج 5/247.
 - 22 - محمد بن علي بن محمد الشوكاني، فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية، دار المعرفة، دط، (1423هـ/2004م)، ج 1/892.
 - 23 - أبو حيان الأندلسي- أثير الدين أبو عبد الله محمد بن يوسف الأندلسي، التفسير الكبير المسعى البحر المحيط، دار إحياء التراث العربي، لبنان، (د ت - دط)، ج 6/201.
 - 24 - الطاهر بن عاشور، التحرير والتنوير، الدار التونسية للنشر، تونس، (د ط - 1948م)، ج 14/135.
 - 25 - القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، 10/258.
 - 26 - تفسير البغوي، 5/105.
 - 27 - تفسير القرآن، محمد بن جرير الطبري، تح: محمد محمود شاكر، دار المعارف، مصر، (د ط - د ت)، 17/568.
 - 28 - فخر الدين الرازي، التفسير الكبير، دار الكتب العلمية، بيروت، دط، (2004م-1425هـ)، ج 11/415.
 - 29 - الأشموني، كتاب شرح الأشموني لألفية ابن مالك، دار الكتب العلمية بيروت- لبنان، ط1، (1419هـ-1998م)، ج 2/237.
 - 30 - القرطبي، تفسير القرطبي، ج 18 / 213.
- قائمة مراجع البحث وإحالاته:
1. ابن جني، اللّمع في العربيّة، تحقيق حامد المؤمن، عالم الكتب، مكتبة النهضة العربيّة، بيروت، (1405هـ-1985م).
 2. ابن كثير - إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي، تفسير ابن كثير تح: سامي بن محمد السّلامة، دار طيبة، دط، (1422هـ/2002م).
 3. ابن هشام الأنصاري، أوضح المسالك لألفية ابن مالك، تح: محي الدين عبد الحميد دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، (ط5-1966م).
 4. ابن منظور، لسان العرب، دار صادر، بيروت- لبنان، (د ط - دت).
 5. أبو حيان الأندلسي- أثير الدين أبو عبد الله محمد بن يوسف الأندلسي، التفسير الكبير المسعى البحر المحيط، دار إحياء التراث العربي، لبنان، (د ت - دط)
 6. الأشموني، كتاب شرح الأشموني لألفية ابن مالك، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان، ط1، (1419هـ-1998م).
 7. البغوي، تفسير البغوي (معالم التنزيل)، دار طيبة، المملكة العربيّة السّعودية، (د ط - 1411هـ).
 8. حسن عبّاس، النحو الوافي، دار المعارف، القاهرة، مصر، (ط8-1986م).

9. الخطيب القزويني الإيضاح في علوم البلاغة: المعاني والبيان والبديع، تح: عبد القادر حسين، نشر مكتبة الآداب، (1416هـ - 1996م).
10. سيوييه، الكتاب، تح: عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، (ط2-1402هـ/1982م).
11. ضياء الدين بن الأثير، المثل السائر في أدب الكاتب، تح: أحمد الحوفي- بدوي طبانة: دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، الفجالة- القاهرة، (دط - 1420هـ).
12. الطاهر بن عاشور، التحرير والتنوير، الدار التونسية للنشر، تونس، (د ط - 1948م).
13. الطبري، محمد بن جرير، تفسير القرآن، تح: محمد محمود شاكر، دار المعارف مصر، د ط - د ت.
14. عبد الحميد هندراوي، الإعجاز الصّرفي في القرآن الكريم، دراسة نظرية تطبيقية، التوظيف البلاغي لصيغة الكلمة، المكتبة العصرية، صيدا- لبنان، (1429هـ-2008م).
15. عبد القاهر الجرجاني، أسرار البلاغة، تح: عبد الحميد هندراوي، دار الكتب العلميّة، بيروت، ط1، (1422 هـ - 2001 م).فتح الله أحمد سليمان، الأسلوبية مدخل نظري ودراسة تطبيقية، المطبعة الفنية بالقاهرة، 1990م.
16. فخر الدين الرازي، التفسير الكبير، دار الكتب العلميّة ببيروت، دط، (2004م-1425هـ).
17. القرطبي، الجامع لأحكام القرآن لأبي عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي، تح: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، دار الكتب المصريّة - القاهرة، ط2، (1384هـ-1964م).
18. محمد الأمين الشنقيطي، أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، دار الفكر، لبنان، دط، (1415هـ/1995م).
19. محمد بن علي بن محمد الشوكاني، فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية، دار المعرفة، دط، (1423هـ/2004م).
20. محمد سمير نجيب اللّبيدي، معجم المصطلحات النّحوية والصّرفية، دار الفرقان، بيروت، لبنان، (ط1-1405هـ-1985م).
21. محمد عيد، النحو المصقّى، دار النّشر، بيروت، لبنان، (ط6-1975م).
22. يوسف بن أبي بكر السّكاكي، مفتاح العلوم، ضبطه وتعليق: نعيم زرزور، دار الكتب العلميّة، بيروت - لبنان، ط2، (1407 هـ-1987م).
23. يوسف نور عوض، الطيب صالح في منظور النقد البنيوي، مكتبة العلم- جدّة.